

من مرسى الاله مقول

جملد ران

للطالبة الألبانية فرناندو أرباك
نقلا عن الانجليزية لماك أبو ريب

بنوا : لا تأبهي له ، ماما . فهو لا يعرف شيئا عن الجميل الذي يدين به الإنسان لأمه .
فرانسواز : (مخاطبة موريس) . ألا تسمع أخاك ؟ أصغ إليه . لو ان أحدا قال لي مثل هذا الكلام لمت خجلا . أما أنت فلست بخجل . رباه ، أي صليب هذا ؟

بنوا : ماما ، سهلي عليك الامر . ولا تدعيه يزعجك . فهو لن يتفق معك أبدا .

فرانسواز : أنت لا تدرك كل شيء يا بني . حين يغيب والدك ، فهناك موريس . ليس ثمة شيء غير العذاب . لقد كنت أبدا عبدة لهما . انظر الى الحياة الهائنة التي تعيشها النسوة في مثل عمري . يمتعن أنفسهن ليل نهار . يذهبن الى الرقص ، والسينما ، والمقاهي . نسوة كثيرات . انك ما زلت يافعا لتتحقق من ذلك . كنت أستطيع أن أفعل الشيء نفسه . الا انني فضلت أن أهب حياتي لزوجي ولكما ، بصمت ، وتواضع ، غير متوقفة أي ثواب . بل انني كنت أعلم ان أولئك الذين هم أحب الناس الى قلبي ، سوف يقولون عني ما يقوله أخوك الان ، من انني لم أقدم ما فيسه الكفاية . أتري يا بني ، كيف كافأوا تضحياتي ؟ انك لترى ذلك . يردون بالشر على الخير دائما .

بنوا : ما أروع طبيبتك ، ما أروع طبيبتك !

فرانسواز : ولكن ما يجديني أن أعرف ذلك ؟ سبان عندي ، فكل شيء سواء . لم أعد أشعر بالرغبة لان أفعل شيئا . لم أعد أبه لشيء ، وليس لشيء قيمة لدي بعد الان . أود فقط ان اكون طيبة ، وان اصحي نفسي لاجلكما ، غير راجية ثوابا . بل انني لاعلم ان أولئك الذين هم أحب الناس الى قلبي ، أولئك الذين ينبغي أن يشكروا لي عنايتي بهم ، يتجاهلون تضحياتي عامدين . لقد كنت شهيدة لكما طوال حياتي . وسوف أستمر على كوني شهيدة لكما ، حتى يشاء ربي أن يستعديني اليه .

بنوا : يا أغلى أم !

فرانسواز : أجل ، يا ولدي . انني لاعيش من اجلكما فقط . وكيف لي ان اهتم لاي شيء آخر ؟ الابهة ، الثياب ، الحفلات ، المسرح . لا شيء من ذلك ذو أهمية لدي . لدي شيء واحد أهتم به فقط . انه انتما . وماذا يعني أي شيء آخر ؟

بنوا : (مخاطبا موريس) موريس ، أسمع ما تقول ماما ؟

فرانسواز : دعه وشأنه يا بني . أنتقد انني أأمل أن يقدر تضحياتي ؟ لا . أنا لا أتوقع شيئا منه . بل انني لاعلم انه قد يظن انني لم أفعل ما فيه الكفاية .

بنوا : (مخاطبا موريس) انك مغفل لا تصلح لشيء .

فرانسواز : (مستثارة) لا تزد الاشياء سوءا لي يا بنوا . لا تبدأ مشاجرة معه . اود أن نعيش في سلام ، وانسجام . مهما حدث فلا أريدكما ، وانتما اخوان ، ان تتشاجرا .

بنوا : ما أروع طبيبتك يا أم ، ما أروع طبيبتك له ، وهو لا يستحقها . لو لم تسأليني أن ادعه وشأنه ، لما عرفت اي شيء أفعل به (مخاطبا موريس) موريس ، لك ان تشكر ماما . لانك تستحق ضربا مبرحا . فرانسواز : لا ، يا بني . لا . لا تضربه . أنا لا أريدك ان تضربه .

الجلادان : لا اعرف اسميهما
الأم : فرانسواز
الابنات : بنوا ، موريس
الزوج : جان

الشخصيات :

(تقع الحادثة في غرفة ممتمة جدا . الى اليسار باب يقضي الى الطريق ، في الصدر الباب المؤدي الى غرفة التعذيب . الجدران عارية . طاولة وثلاثة كراسي في وسط الغرفة . عتمة . الجلادان يجلسان على كرسيين ، وهدما . طرق ملحاح على الباب المؤدي الى الطريق . الجو يوحي بان الجلادين لا يستطيعان سماع أي شيء . يفتح الباب بهدوء ، مصوتا . يطل رأس امرأة ، تجوس الغرفة بعينها ، وتقرر ان تدخل ، وتصعد الى الجلادين) .

فرانسواز : عما صباحا ايها السيدان .. اعذراني .. هل أزعجكما ؟ (الجلادان على صمتها . كأنما لا شيء يعنيهما) اذا كنت أزعجكما فسوف أمضي . (صمت . يلوح كان المرأة تستجمع شجاعتهما . اخيرا تنطق ، وتبدو الكلمات متلعثمة .) . لقد أتيت لاراكما ، لانني لم أعد أحتمل الامر . القضية تتعلق بزوجي . (بصوت أسيان) الانسان الذي علقت عليه كل آمالي . الواحد الذي أعطيت احلى سني عمري . وأحببت كما لم احلم انني قادرة على أن أحب . (بصوت أكثر هدوءا ونعومة) . أجل ، أجل ، أجل . انه لذنب .

(فجأة يبدو الاهتمام على الجلادين بما تقوله المرأة . يخرج أحدهما قلما ودفترا) أجل . انه لذنب . وهو يعيش في شارع العمل ، رقم ١٨ ، واسمه جان لاجين (يدون الجلاد الاسم والعنوان ، ثم يخرج الجلادان من الباب المؤدي الى الطريق . يسمع صوت سيارة تنطلق . تخرج فرانسواز ، ايضا ، من الباب المؤدي الى الطريق) .

صوت فرانسواز : تعالا ايها الطفلان ، تعالا .

صوت بنوا : لا ضوء كافي هنا .

صوت فرانسواز : بلى ، الغرفة شديدة الحلكة . انها لتخيفني . انما يجب أن ندخل ، يجب أن ننتظر أباكما . (تدخل فرانسواز وولدها : بنوا ، موريس) .

فرانسواز : اجلسا . لا تخافا . (يجلس الثلاثة الى الطاولة) .

فرانسواز : (صوتها ، دائما ، معول) أية لحظات مؤسسية نعيش الان ؟ أية ذنوب اقترفناها لتعاقبنا الحياة بهذه القسوة ؟

بنوا : لا تبتسي يا أم ، لا تبك .

فرانسواز : لا ، يا بني ، أنا لا أبكي . ولن أبكي . سوف أحتمل كل الاخطار التي تحيق بنا . ما أحب الى قلبي ان اراك دائما قلنا علي . انما انظر الى أخيك موريس . انه متوفز ، كما هي حاله دائما .

(موريس ، بشيء من الحزن ، يشيح بتعمد واضح الى الاتجاه الاخر) . انظر اليه . اليوم ، حين أحتاج الى مساعدتكما ، كما لم أحتاج اليه ابدا ، يتقلب علي ، مزدريا . أية اساءة قدمت لك في حياتي ايها الولد العاق ؟ حدثني ! قل لي شيء !

حتى لو استحق ذلك . أود ان يخيم السلام والحب على حياتنا . هذا وحده ما أسألك اياه يا بنوا .

بنوا : اطمئني . سوف افعل ما تشائين .

فرانسواز : شكرا لك ، يا ولدي . انك لبس على الجراح التي انزلتها الحياة بي . أتري ، لقد وهبني الله ، بفائق عنايته ، ولدا مثلك ، يحنو على الجراح التي تثلم قلبي البائس ، والاحزان التي ينزلها بي ، وأسفا ، الناس الذين كاذبت من أجلهم كل كفاحي ، زوجي وموريس .

بنوا : (غاضبا) منذ هذه اللحظة لن يكون لاحد ان يجعلك تتألمين . فرانسواز : لا تقضب يا بني ، ولا تبتئس . لقد أساء الي ، وهما يعرفان ذلك . أما نحن فيجب ان نفرر لهما ، وألا نحمل لهما ضغينة . وعلى أية حال ، رغم ان والدك أثم ، أثم اثما فظيما ، فان عليك ان تحترمه . بنوا : احترمه ؟ . هو ؟ .

فرانسواز : أجل يا بني . يجب ان تتغاضى عن كل ما سبب لي من حزن . واذا كان ثمة من يجب ألا يغفر له ، فهو أنا . ومع ذلك ترى انني اغفر له . رغم انه جعلني أقاسي كما لم أقاس في حياتي . واذا استطعت ، فسوف ابقى منتظرة اياه بفراعين مفتوحتين . سأكون قادرة على غفران أخطائه التي لا تحصى . فقد علمتني الحياة معنى العذاب منذ ولدت ، ولكنني أحمل هذا الصليب بجلال ، بدافع من حبي لكما .

بنوا : ماما ، انك لطيفة جدا .

فرانسواز : (في لهجة اكثر اتضاعا) بنوا ، انني لاحاول ان اكون طيبة .

بنوا : (مقاطعا امه بحركة حنو عفوي) ماما . انك لافضل امرأة

في الوجود .

فرانسواز : (بانضاع وحياء) لا ، يا بني . لست بأفضل امرأة في

الوجود . ولا يمكنني ان اطمح الى هذا الادعاء . فانا لست بذني بال . ثم انني قد أكون اقدرت شيئا من الاثم ، رغم ارادتي بقوة الا افعل ذلك . الا ان ما يبقى هو انني اقدرت بعض الاثم .

بنوا : (بادانة) لا ، ماما ، أبدا .

فرانسواز : اجل يا بني ، أحيانا . انما يمكنني القول بغبطة انني

ندمت على اثماتي دائما . دائما .

بنوا : انك لقديسة .

فرانسواز : صه . أي حلم يمكن أن يتملكني اكثر من حلم ان اكون قديسة . انما لا يمكنني ان اكون قديسة . ليكون المرء قديسا يجب ان يكون انسانا عظيما . اما انا فلست بذات بال . ببساطة ، انا احاول ان اكون طيبة . هذا أقصى ما أسعى اليه .

(يفتح الباب المؤدي الى الطريق . يدخل الجلادان حاملين جان ، زوج فرانسواز ، وقد شد معصماه الى قدميه ، وتدلّى من عصا غليظة ، كما تعلق الاسود والنمور المأسورة في افريقيا ، مكهما . يرفع جان رأسه ، ويرمق زوجته فرانسواز بغضب ، بعينين شزراوين . فرانسواز تحدججه بثنيه وشرة . موريس يرقب الموكب بصبر ، بغضب حاد . يعبر الجلادان الفرفة ، دون ان يتوقفوا . يدخلان جان الى غرفة التعذيب . يختفي الثلاثة) . موريس : (مخاطبا امه حانقا) ماذا يجري هنا ؟ ما آخر الالاميب القذرة ؟

بنوا : (مخاطبا موريس) لا تخاطب ماما بهذه الطريقة .

فرانسواز : دعه يفعل ، يا صغيري . دعه يلحق الاهانة بي . دعه يصفني . دعه يعامل امه كأنها عدو له . دعه يفعل ، يا صغيري . دعه يفعل . فالله سيجزى هذه الفعلة الرديئة .

موريس : أوه . هذا اكثر مما يحتمل (غاضبا ، مخاطبا امه) أنت ابلغت عنه .

بنوا : (متهيئا للانقضاض على اخيه) لقد قلت لك ان تخاطب ماما بتأدب ، هل تفهم ؟ بتأدب . هل تسمعتني ؟

فرانسواز : اتند ، يا بني ، اتند . دعه يكن فظا معي . انت تعلم جيدا انه يغضب حين يعذبني . وفر له هذه المنعة . هذه هي مهمتي . ان أضحي نفسي من اجله ومن اجلك . ان اعطيكما كل ما تريدان .

بنوا : لن أدعه يصرخ في وجهك .

فرانسواز : أظمني ، يا صغيري ، أظمني .

بنوا : لن اطيعك . انت طيبة جدا . وهو يستغل طيبتك .

(موريس يرنو مكتئبا) .

فرانسواز : أتريد أنت ، ايضا ، ان تعذبني يا بني ؟ اذا أساء هو الي ، فدعه يفعل ، فهذا ما اتوقعه منه . أما انت يا ولدي ، فشيء اخر . على الاقل ، هذا ما ظننته دائما . دعه يعذبني ، اذا كان ذلك بردا وسلاما لقبلي الآثم .

بنوا : لا ، أبدا . ليس وانا هنا ، على أية حال .

(فرقة سوط ، ثم صرخات جان ، تكتمها الكمامة . من المؤكد ان الجلادين يجلدانه في غرفة التعذيب . فرانسواز وموريس ينهضان وينهبان الى باب غرفة التعذيب . تصفي الام ، بتعطش ، متشنجة ، وعيناها شديدا الاتساع . على وجهها خط يقرب ان يكون ابتساما . تعلو فرقة السوط ، لفترة طويلة . جان يئن بصوت عال . أخيرا تصمت ضربات السوط ، وتأوه جان) .

موريس : (هائجا ، وعلى نحو من اليكاء ، مخاطبا امه) انهم يجلدونه بسبيك . هذه خطيبتك . أنت وشيت به .

بنوا : اخرس . (بحدة) لا تأبهني له ، ماما .

فرانسواز : دعه يفعل ، دعه يفعل ، يا بنوا . دعه يلحق الاهانة بي . اعرف جيدا انه ما كان ليتورع عن فريقي لو لم تكن انت هنا . لكنه جان . وخوفه منك فقط يمنعه من ذلك . لانه قادر تماما على ان يرفع يده ضد امه . اني لارى ذلك في عينيه . لقد حاول دائما ان يفعل ذلك .

(اتين حاد ، صادر عن جان . صمت . فرانسواز تقطب وجهها في شبه ابتساما . صمت) .

دعنا نذهب ونر بابا المسكين البائس . دعنا نذهب ونره يتألم ، الرجل البائس . ليس ثمة من شك في انهم ينبغي ان يكونوا قد آلموه كثيرا . (تقطب وجهها . صمت . فرانسواز تقترب من غرفة التعذيب . تفتح الباب بنصف فتحة ، وتقف هناك تنظع الى الفرفة . تتحدث الى زوجها الذي لا يستطيع ان يراها) ينبغي ان يكونوا قد آلموك كثيرا ، جان . يا بائسا يا جان . ينبغي ان تكون قد قاسيت كثيرا ، وانهم لماضون في جملك تقاسي اكثر . يا جاني البائس .

* مغفزة العراف

للطباعة والتوزيع
والنشر

مكتبة النهضة

لصاحبيها: عبد الرحمن قسنون قباوي

اوله مؤسسة ثقافية عراقية تفتتح بنشر
الانوار والمجلات العربية .

قدمنته نصيب عينا من ثمارها
النزوية بالكتاب العربي العراقي من عهده
الانوار في الاضواء والطباعة ومهله
بمناهج ارض الطبوعات .

تقدمها جميع دور النشر والكتبات
البنائية في توزيع وترتيب منشوراتها
تجميع منشورات البلاد العربية
نرها مرة لتصبح حدي يقرأ لك الأثر .

(جان يصرخ في غضب ، رغم الكمامة) .

يجمل بك ان تتحلى بالصبر . وتأكد من انك لم تزل على عتبة عذابك . ليس بإمكانك ان تفعل شيئا الآن . انك مقيد ، وظهرك ينضج دما . وهذا كله سيجديك جدوى كبيرة . سوف يعلمك ان تتحلى بقوة الإرادة . في حياتك لم تكن لديك قوة ارادة . (تدخل الى الغرفة) .

صوت فرانسواز : (تتكلم بصوت اكثر علوا) أنا الذي وشى بك يا جان . انا الذي قال انك مذنب .

(جان يحاول ان يتكلم ، فلا يصدر عنه اكثر من وعوة . فرانسواز تضحك بخدة . موريس يبلغ ذروة غضبه . تظهر فرانسواز ثنائية على المسرح) .

فرانسواز : (مخاطبة ولديها) الرجل البائس يقاسي كثيرا . انه لا يتمتع بأي قدرة على الصبر . في حياته كلها لم يمتلك القدرة على الصبر . (صرخة من جان) .

موريس : دعي بابا وشأنه . كفي عن هذا كله . ألا ترين انك تعذيبه كثيرا ؟

فرانسواز : هو يعذب نفسه بنفسه . هو وحده ، دونما سبب . (مخاطب زوجها ثانية عبر الباب) انا أرى بوضوح انك انت الذي يعذب نفسه . ارى بوضوح ان ما اقله يؤلك . (صمت . تبسم) من يستطيع ان يولي عذابك عناية اكثر مما اقله ؟ سوف اكون الى جانبك مهما قاسيت . انت مذنب . عليك ان تتحمل جزاءك بصبر . بل انك ليجب ان تشكر جلاديك ، لانهما يبدلان طاقتهما في تعذيبك . لو كنت رجلا عاديا ، متواضعا ، عادلا ، لشكرت جلاديك . ولكنك كنت ناثرا ابدا . لست بحاجة الى الظن انك في البيت الآن . حيث كنت تفعل كل ما تشاء . انت الآن تحت رحمة جلاديك . تقبل عقابك دون ثورة . انها تطهرك . تب عن ذنوبك . وعد انك لن تقع ثانية في الخطأ . ولا تعذب نفسك بوهم اني ابتهج لرؤيتك تعاقب وتعذب . (انين حاد من جان) .

موريس : ألا تسمعيه ين ؟ ألا ترين انك تعذيبه ؟ دعيه وشأنه .

بنوا : لقد قلت لك ألا تخاطب ماما بهذه الطريقة .

فرانسواز : دعه يخاطبني كيف شاء ، فقد اعتدت ذلك . تلك قسمتي . ان اقلق عليهما ، هو وبابا ، رغم انهما لا يستحقان ذلك . (انين من جان) . موريس : بابا ! بابا ! (على وشك البكاء) بابا .

فرانسواز : لم يزل ين . تلك علامة انه لم يزل يقاسي مما جرحه السوط والحبال التي تشد قدميه ويديه . (تفتح درجا من الطاولة ، وتبحث عن شيء فيه . تخرج ما تجده ، وتضعه على الطاولة : زجاجة من الخل ، وبوتقة ملح) هذا كل ما أريده . سوف أضع الخل والملح على جراحه لاعلمها . قليل من الخل والملح على جراحه سوف يفي بالكثير . (بحماسة هستيرية) قليل من الملح والخل . فقط ، قليل جدا على كل جرح . هذا كل ما هو بحاجة اليه .

موريس : (ناثرا) لا تفعل ذلك .

فرانسواز : أهذه طريقتك في حب والدك ؟ أنت ، ولده الاثير . أهكذا تعامله ؟ أنت ، دون كل الناس ، يا ولدا عاقا . انت الذي يعلم ان الجلادين سيجلدانه حتى الموت . أتود ان تتركه الآن ، وتريدي ألا اضمم جراحه ؟ (تتجه الى غرفة التعذيب حاملة الخل والملح) .

موريس : لا تضعي الملح عليه . اذا كان لا بد ان يقتلوه ، فدعيه بسلام ، على الاقل . لا تزيد امله الا .

فرانسواز : ما زلت يافعا جدا ، يا ولدي . أنت لا تعرف شيئا عن الحياة . ما زلت غرا . ماذا سيحدث لك من دوني ؟ لقد كانت الحياة سهلة جدا حتى الآن بالنسبة لك لانك اعتدت ان تجد امك تطعك أي شيء تريد . ينبغي أن تتذكر ما اقول فانا احدث اما . والام انما تعيش لابنائها . احترم امك . احترمها . ان لم يكن من اجل شيء ، فمن اجل الشمرات البيض التي تكلل جبينها . فكر في ان امك تفعل أي شيء من اجلك بدافع من حنوها . متى رأيت امك ، يا بني ، تفعل أي شيء لنفسها ؟ لقد فكرت دائما بكم . طفلي أولا ، ثم زوجي . انا لست بذات بال لدى أي انسان ،

وخصوصا لدى نفسي . لذلك تجدني الآن يا بني ، اعني بجروح والدك . يجب الا تقف في طريقي . ثمة اخرون يودون ان يقبلوا الارض التي اطا . وانما لا اسألهم ذلك . انما ارجو فقط ان تجدوا في انفسكم الحس بالشكران لجهودي . (تتوقف . تتجه الى باب غرفة التعذيب حاملة الملح والخل) سوف امضي وأضع قليلا من الملح والخل على جروح بابا المسكين . (موريس يقبض على ذراع امه بشراسة ، ويمنعها من الدخول الى الغرفة) .

بنوا : دع ذراع ماما .

فرانسواز : دعه يضربني . هذا ما أراد دائما ان يفعله . انظر الى اثار اصابعه في ذراعي الضعيفة . ذلك ما اراد دائما ان يفعله . ان يضربني .

بنوا : (بغضب حاد) كيف تجرؤ على ضرب ماما ؟ (بنوا يحاول ان يضرب اخاه . فرانسواز ترمي نفسها بين ولديها لتمنعها من ان يتعاركا) . فرانسواز : لا ، يا بني . ليس بحضوري . العائلة شيء مقدس . لا اريد لولدي من يتعاركا (بنوا يكبح جماح غضبه بصعوبة) . له ان يسلمني حية اذا شاء . انما ارجو ، يا ولدي ، لا تضربه بحضوري . لا اريد عراقا بين الاخوة بحضوري . لقد ضربني ، لكنني اصفح عنه .

(صرخة حادة من الزوج) انه يقاسي . انهم يجعلونه يقاسي . انه يقاسي كثيرا . يجب أن أضع بعض الخل عليه بأقصى سرعة ممكنة . في الحال . (تدخل الى غرفة التعذيب) .

صوت فرانسواز : قليل فقط من الملح والخل سوف يفيدك جدا . لا تتحرك . ليس لدي الكثير . ها نحن أولاء ... (جان ين) هذا هو كل شيء . والان ، هنا ، هنا . قليل من الملح (صرخة غضب من جان) . موريس : (يصرخ) بابا ! (يبكي) .

صوت فرانسواز : هذا كل شيء . شيء آخر فقط ، قليل هنا . لميل فقط ، زيادة على ذلك . لا تتحرك (فرانسواز تتحدث لاهثة) لا تتحرك . هنا . شيء آخر قليل فقط . (جان ين) . هذا كل ما لدي . (صمت طويل . جان يصرخ . صمت) حسنا . كيف حال كمييك ؟ سوف ألسهما لاري كيف حالهما . (صرخة حادة من جان) . موريس يدخل الغرفة ، منتهزا غفلة من بنوا) .

صوت موريس : ماذا تفعلين ؟ انك تخدشين جراحه . (يدفع امه خارج الغرفة . بنوا يلقي بنفسه على اخيه . يكاد ان يضربه . تقف الام بينهما ، وتفصلهما) .

فرانسواز : لا ، يا صغيري ، لا . (مخاطبة بنوا) . انك تؤذي . لا . لا تضرب اخاك . انا لا اريدك ان تضربه (بنوا يستكين) . بنوا : لن اصبر عليه يضربك .

فرانسواز : أي . دعه يؤذي . دعه يفعل ، اذا كان ذلك يسره . هذا ما اريده . دعه . يريدني أن ابكي حين يضربني . يا ولدا . لقد طبع اخوك على ذلك . أي شهيدة ؟ أي صليب ؟ لماذا ، رباه ؟ هسل استحققت ولدا لا يحبني ، وينتظر دائما لحظة ضعف مني ليضربني ويعذبني ؟!

بنوا : (بشراسة) موريس !

فرانسواز : اتد يا بنسي ، اتد . (مكتئبة) أي صليب ، أي صليب ! رباه ! لماذا تجزيني هذا الجزء ؟ رباه ! أية فصلة اقترفت لاستحق هذا العقاب ؟ لا تتعاركا ، يا ولدي ، كرمي لامكما البائسة التي لم تعرف لحظة واحدة طعاما غير العذاب . كرمي لشعيراتها البيض . (مخاطبة بنوا) ، واذا لم يرحم هو عذابي ، فلا اقل من ان تفعل انت يا بنوا . يجب ان ترحمني وتكف عن تعذيبي . او انك انت ايضا لا تحبني ؟

(بنوا منفلا ، يحاول ان يقول شيئا ، لكن امه تمنعه ، وتتابع) ان الامر لكذلك ، انت ايضا لا تحبني .

بنوا (على وشك من البكاء) اجل ، ماما . انا احبك . احبك . فرانسواز : حسنا اذن . لماذا تصيف الى اكليل عذابي أشهد الاشواك قسوة ؟

بنوا : ماما !

فرانسواز : ألا ترى الآمي ؟ ألا تشعر ألم أم لا حد له ؟

بنوا : (يكاد ان يبكي) أجل .

فرانسواز : شكرا لك يا ولسدي . أنت عون شيخوختي . أنت السلوى الفريدة التي وهبني الله اياها في هذه الحياة .

(يسمع الجلادان من جديد وهما يجلسان جان . جان ينشج . يصفي الثلاثة بصمت) .

فرانسواز : انهم يجلدونه من جديد ، وينبغي ان يكونوا قد آذوه كثيرا (تتحدث لاهثة) انه يبكي ! انه يبكي ، انه يشن . ألا يفصل ؟ (لا يجيب أحد) أجل ، أجل ، انه يشن !.. انه .. يشن .. انني لاسمعه بوضوح ...

(فرقة السوط ، وانين . يصرخ جان فجأة بحسدة اكثر علوا . الجلادان يمضيان في جلده . ليس ثمة انين بعد . فرانسواز تمضي الى الباب وتنظر الى الفرفة) ..

لقد قتلوه . لقد قتلوه . (صمت مطبق . موريس يجلس مستندا يديه الى الطاولة . ربما كان يبكي . صمت . صمت ثقيل . يدخل الجلادان حاملين جان معلقا كما كان . جان ميت . رأسه يتسدى هامسا) .

فرانسواز : (تخاطب الجلادين) اتركانسي آره . اتركاني آره بوضوح . (يعبر الجلادان الفرفة . غير عابئين بفرانسواز . ويخرجان من الباب المؤدي الى الشارع . فرانسواز وبنوا يجلسان ، كل السى جنب من موريس . ينظران اليه . صمت) .

موريس : (مخاطبا فرانسواز) لقد قتلوا بابا بسبيك . فرانسواز : كيف تجرؤ ان تقول ذلك لامك ؟ امك التي لم تسبب لك في حياتها أي أذى .

موريس : (مقاطعا امه) اقصري عني كل هذا الفيض . ما اتهمك به هو انك ابلغت عن بابا .

(بنوا يبدو على درجة من الخور ، لا تسمح له بالتدخل) فرانسواز : أي ، يا ولدي . لك ما تشاء . اذا كان هذا يمتك فسوف أقول انها خطيئي . أهذا ما تريده ؟

موريس : أوه ! حسبك ايقاما على هذا الوتر . (سكسون . صمت طويل) لماذا علمت بابا بهذه الطريقة ؟ بابا الذي لم يدع لك مجالاً للشكوى من أي شيء ابدا ؟

فرانسواز : لقد طفح الكليل ، وها نحن اولاء حيث توقعت . هذا ما توقعته طوال عمري . عندما كان والدك يلطخ مستقبل اولاده وزوجته بسبب من ...

موريس : (مقاطعا) ما كل هذا الهذر عن تلطيخ المستقبل ؟ ما اخر افتراءاتك ؟

فرانسواز : آه ، يا ولدي ! أي بؤس ، وأي صليب ! (سكسون) حقا انه لطف مستقبل اولاده باخافقه . لقد عرف بوضوح انه اذا مضى في طريقه الآثم فانه سوف يقع ان عاجلا او آجلا فيما وقع فيه . لقد عرف ذلك تماما . لكنه أصر على الإيفال في ائمه رغم كل ما حدث . كم مرة قلت له : سوف تتركني أرملة ، وتترك طفلي يتيما . ولكن ماذا فعل ؟ لقد تجاهل نصائحي وأوغل في غيه . موريس : انك وحدك تجرمينه .

فرانسواز : أوه ، أجل . من الطبيعي ألا تكون قد اكتفيت بانك أهنتني طوال الليل ، فانت ترميني بالكذب كذلك ، وتقسم انني اجعل الناس يشهدون زورا . هذه هي الطريقة التي تعامل بها اما ، اما اغدقت عليك عنايتها واهتمامها منذ ولدت . بينما كان والدك يلطخ مستقبلكما بسلوكة الشائن . لقد حرصت دائما على اسعادكما ، وكان لي هدف واحد فقط .. ان أسعدكما . ان امنحكما السعادة كلها . السعادة التي لم اذق طعمها في عمري . لانني لم آبه لشيء الا ان تكون انت واخوك على ما يرام . وكل ما عدا ذلك كان بلا أية قيمة لدي . انـ

امراة بائسة ، جاهلة ، أمية . امرأة لا يعينها شيء الا خير طفلها ، مهما بلغ الثمن .

بنوا : (موفقا بينهما) موريس . ليس ثمة من جدوى في افتعال شجار الان . بابا مات . ولا يمكننا ان نفعل أي شيء الان .

فرانسواز : بنوا على حق . (صمت طويل) .

موريس : كان بإمكاننا ان نمنع موته .

فرانسواز : وكيف ذلك ؟ هل كانت خطيئي ؟ لا . لقد كان هو المذنب . هو . ابوك . ما كان بمقدوري ان افعل ؟ ما كان يمكنني ان افعل لامتنه من ان يكون ما كان ؟ لقد ركب رأسه دائما . وأنا مجرد امرأة بائسة ، جاهلة ، أمية . انفتقت عمري دون ان افعل شيئا سوى ان اعيش قلقا على الاخرين ، ناسية نفسي . متى رأيتني ابتاع لنفسي ثوبا جميلا ؟ او أمضي الى السينما ، او ليالي افتتاح العرض ؟ الاشياء التي شفقت بها من قبل . لا ، لم افعل شيئا من ذلك كله ، رغم كل البهجة التي كنت سانالها . وكان ذلك لكي انفر نفسي كلها . انسي لاسأل شيئا واحدا وحسب . ألا تجحداني فضلي ، وأن تقدرنا تضحيات أم كالم التي كان من حسن حظكما انها امكما .

بنوا : أجل ، ماما . انني لأقدر كل ما فعلت من اجلنا .

فرانسواز : نعم . اعلم انك « انت » تفعل . اما اخوك فلا . لا يبدو كل ذلك ذا قيمة لآخيك . لا يبدو كافيا له . أية سعادة يمكننا ان نعرف لو كنا كلنا على وفاق . لو كنا كلنا في انسجام ؟

بنوا : أجل ، موريس . يجب علينا ان يفهم واحدنا الآخر . وان يحيا ثلاثتنا بسلام . ان ماما لطيفة جدا ، وانا اعلم انها تكن لك حبا عميقا ، وانها ستمنحك كل ما تحتاج ، ولو بدافع من اثرتها ذاتها فقط . عد البنا ثانية . سوف نحيا ثلاثتنا بسعادة وهناءة . وسوف يحسب واحدنا الآخر .

موريس : لكننا ... (يتوقف) .. بابا .. (صمت) .

بنوا : هذه حكاية قديمة . لا تنظر الى الخلف . ما يهم هو المستقبل . من الغباء ان نتعلق بأذيال الماضي . سوف تنال كل ما تريده مع ماما . كل ما لها سيكون لك . أليس كذلك ، ماما ؟

فرانسواز : بلى ، يا ولسدي . كل ما لي سيكون له . انني لاصفح عنه .

بنوا : انك لترى ما أطيّب ماما . انها لتصفح عنك ايضا . فرانسواز : أجل . انني لاصفح عنه . وسوف انسى كل اهاناته . بنوا : انسى كل شيء ؟ (بمرح) هذا ما يهم . وهكذا سيعيش ثلاثتنا معا دون ضغينة . ماما ، وانت ، وانا . أي شيء اروع واحلى ؟

موريس : (نصف مقتنع) أجل .. انما ..

بنوا : (مقاطعا) لا ، يجب ألا تكون حقودا . كن مثل ماما . ان لديها من الأسباب ما يجعلها غاضبة منك . لكنها مع ذلك وعدت انها ستصفح عنك . سوف نسعد اذا كنت طيبا .

(موريس ، يملاه انفعال عاطفي . يخفض رأسه . صمت طويل . بنوا يحيط امه بذراعه) . قبل ماما . (صمت) قبل ماما ودع ما مضى يمضي .

(موريس يتقدم من امه ويقبلها) .

فرانسواز : ولدي !

بنوا : (مخاطبا موريس) اسأل ماما المغفرة .

موريس : (على وشك من البكاء) اغفري لي ، ماما .

(موريس وفرانسواز يتعانقان . بنوا يشاركهما عناقهما . ويبقى الثلاثة متعانقين بينما يتسدل الستار) .

ترجمة كمال أبو ديب

كمبريدج